خلاصة الشعر

Sabah_alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

إن التي زعمت فؤادك ملها
جُعلتْ هواك كما جُعلتْ هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها وأجلّها

منعتْ تحيتها فقلت لصاحبي:
ما كان أكثرها لنا وأقلّها

فدنا فقال: لعلها معذورة
من أجل رقبتها، فقلتُ لعلها

هذه الأبيات من قصيدة للشاعر عروة بن أذينة والأبيات المتقدمة مأخوذة من قصيدة غزلية جميلة ولكني اخترت هذه الأبيات لأنها تستطيع أن تعبّر عن مضمون باقي القصيدة أولا ولأني وجدت أن هذه الأبيات هي أجمل ما في القصيدة ثانياً.

وكنية الشاعر أبو عامر وهو من شعراء المدينة. وشعر الغزل في تلك الفترة كان يغلب عند شعراء المدينة والحجاز وكان عروة بن أذينة معروفا ومقدما عند شعراء الغزل رغم أنه معروف ومعدود من ضمن الفقهاء والمحدثين.

والرواية التاريخية تشير إلى أن أبا عامر كان أحد الذين شهدوا حريق الكعبة. يقول الشاعر: قدمت مع أبي مكة يوم احترقت الكعبة، فرأيت الخشب وقد أكلته النار، والكعبة متجردة من أستارها، بسبب الحريق، اما الركن فقد تصدع من أمكنة ثلاثة فدهشت وسألت فقلت ما أصاب الكعبة؟ فأروني رجلا وقالوا: بسبب هذا احترقت الكعبة. وكان هذا الرجل قد أخذ قبسا في رأس رمح، فطيرت الريح منه شرارا فشربت أستار الكعبة فاحترقت.

قال أبو السائب المخزومي عندما سمع هذه الأبيات: أحسن والله، هذا هو الدائمُ العهد، الصادق الصبابة في حسن ظنه بصاحبته، وطلبه العذر لها.

ولكن الرواية الآتية لا ترى في الشاعر الصدق والنزاهة والعفة التي يفترض ان يكون عليها من كان معدودا في طبقة الفقهاء المحدثين تقول الرواية: مرت امرأة بابن أذينة وهو في داره فقالت له: أأنت ابن أذينة؟ قال: نعم، قالت: أأنت الذي يقول الناس أنك امرؤ صالح وأنت الذي تقول:

اذا وجدتُ أوار الحب في كبدي
عمدتُ نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببردِ الماء ظاهره
فمن لحرٍّ على الأحشاء يتّقدُ

فالمرأة وجدت في هذه الابيات ما لا يتفق مع ما عرف عن الشاعر من علم بالفقه والحديث ولما وجدته من حرارة الحب في هذه الابيات بدلالة ما فيها من احساس لان ما فيها ليس شعرا تقليديا بل هي معاناة حقيقية وقد تحدثت عن هذين البيتين في خلاصات سابقة.

الأبيات المتقدمة تظهر لنا علاقة حب يبدو عليها شيء من عتاب الأحبة حيث تشير الأبيات إلى دعوى الحبيبة ان قلب الحبيب قد ملها، ولكن الرد على هذه الدعوى يأتي سريعا في الشطر الثاني في كونها خلقت له وخلق لها وهذا يظهر علاقة تلازمية في تعلق الحبيب وتمسكه بها ولهذا فهو يصفها بكل الصفات الجميلة التي تناسبها وتناسب الوضع الاجتماعي ومفاهيم الجمال عند ذلك الجيل فالبياض يطغي الجمال ويطغي الدلال لأنها من أسرة ثرية فهي لاتنهض باكرا ولا تتعرض لأشعة الشمس لأنها لا تعمل كباقي النساء، فالنعيم الذي تعيشه قد حباها ليونة ودقة وجلالا.

ومن كانت هذه صفاتها فانها لا تمنح تحيتها وسلامها الا لمن كان يستحق هذه التحية والسلام، ولكن المحب العاشق يفسر كل الحركات بما يوافق هواه فهي إن نظرت ولو لم تصدر تحية وسلاما فقد وجد الشاعر في هذا خيرا كثيرا فجعل هذه النظرة رسالة تحية وهي على قلتها تعني عند المحبين شيئا يصعب على الآخرين تصوره إلا من عاني دقات الحب.

وأجمل ما قيل في ايجاد الاعذار والتبريرات هو البيت الأخير من هذه القطعة. حيث يجد صديق الحبيب وسيلة يبرر فيها عدم قدرة الحبيبة على تحية حبيبها تحية مباشرة وعلنية وكان العذر ان هناك ربما رقبة "من المراقبة" تمنعها من هذا وربما ابنة النعيم هذه كان لها حراس وأجمل موافقة على هذا الرأي قول الحبيب لعلها.

علي محمد اليوسف يتحدث لـ"بهرا" عن نظرته بشان الأحداث العالمية

أؤمن بصراع حضارات واغلب مؤلفاتي ردود أفعال إزاء ما يجري عالميا

حاوره / سامر الياس سعيد

قبل ما يزيد على ربع قرن كان علي محمد اليوسف معلما يمنح الأجيال القادمة تصورا منهجيا إزاء ما شهده العالم وما ان أحيل على التقاعد حتى تبلورت لديه رؤية مهمة في أن يحول دفة سفينته الحياتية نحو مرفأ آخر مؤسسا بذلك منهجية جديدة تقترب من البحث في النظريات والاتكاء على الثوابت لإقرانها إزاء ما يحدث على الخارطة العالمية وفق تصورات المفكرين الغربيين ومزجها ببصمة عراقية خالصة فأنتج من خلال إبحاره قرب تلك الضفاف عدة مؤلفات حملت فكرتها الاساسية خلاصة الدافع الذي شهدته تلك الأحداث ومنها عناوين للاتشاكل الثقافي - الحضاري والعولمة بضوء نهاية التاريخ وبروز ظاهرة الإرهاب ومرورا بكتابه الذي يعتز به وعنوانه سيسيولوجيا الاغتراب والذي سيصدر قريبا بطبعة جديدة عن دار الشؤون الثقافية..

حواري معه دام زهاء الساعة واحتوى على محطات مرت بتلك المؤلفات خصوصا وان اليوسف كان من أوائل الذين اهتموا بعرض مؤلفاتهم بأسلوب النشر الالكتروني متعاقداً مع موقع الكتاب العربي الالكتروني لعرضها على الشبكة العنكبوتية ولدونكم حصيلة اللقاء الذي خص به "بهرا":

- كلنا يعلم النظرية المعروفة بالفعل ورد الفعل، فعلى أي ضوء فعل أنتجت تلك المؤلفات لتضحي ردة فعل مناسبة تنقل تصورك فيها للقارىء؟

• الحقيقة ان دافعي وراء تلك المؤلفات هو حصول نوع من الانفصام وعدم التواصل ما بين المتلقي والقصد به الجمهور والمثقف وبالمناسبة هذه الأفكار بدأت تراودني منذ سبعينات القرن المنصرم بعد ان نشرت مجلة الآداب البيروتية أولى مقالاتي الثقافية والتي كانت بعنوان "أزمة في الواقع بين المثقف والجمهور".. بالمناسبة احد مؤلفاتي وهو اللاتشاكل الثقافي -الحضاري اعتبر عنوانه البعض ملتبسا او غامضا لذا يتوجب علي إيضاح بعض الأمور المتعلقة بالكتاب حيث ان المحور الأول يتعلق بعدم انسجام البنية التحتية للمجتمع والقصد الركائز الاقتصادية مع البنية الفوقية المفروزة عنها وهذه المقولة وردت في أدبيات الفكر الماركسي وتناولها بالتحليل والمتابعة نخب كثيرة أذكر منهم المفكر والشاعر ادونيس والمفكر اللبناني محمد عيتاني والمفكر المصري الدكتور فؤاد زكريا وحتى هذه اللحظة مازالت كتاباتي تعتمد تلك الفكرة كاعتقاد ثابت ومركز على هذا الأمر، والملاحظ يلاحظ جيدا ان عدم الانسجام وعدم التوافق ما بين البنية التحتية للمجتمع والبنية الفوقية التي تشمل الثقافة والفنون والتشريعات والقوانين وجميع المفردات والاشتمالات فإن بنية فوقية كالمرتكز المادي الذي هو الاقتصاد والعلاقة الإنتاجية وإذا طبقنا هذه الثنائية على الواقع المعاش فسنجد ان الثقافة أصبحت في واد والجمهور في واد آخر كما إنني الاحظ خصوصا في الآونة الأخيرة عبر الدراسات الإنسانية التي تؤكد في بعضها على موت المؤلف ودور القارىء..

- الأفكار التي تحاول إيصالها من خلال مؤلفاتك تعتمد مصطلحات ظهرت في بحر السنوات القليلة الماضية، مما يعزز التساؤل عن دورك وموقعك في السنوات التي سبقت ظهور هذه المصطلحات؟

• أود مصارحتك بأن تساؤلك كان أيضا على لسان احد المثقفين ممن قدمت له بعضا من تلك المؤلفات والتي طبعتها بطريقة الاستنساخ وعلى نفقتي الشخصية ورددت على هذا التساؤل بأنني لم أكن غائبا بل مغيبا طيلة ثلاثين عاما مضت ونشرت خلالها عشرات المقالات الصحفية والثقافية لكن مايؤلم ان الأوساط الثقافية تتعامل مع المثقف وفق منظورين احدهما يعتمد المعية اسم المنتج للنص الإبداعي وثانيهما هو الشللية وتكوين التجمعات التي تتداول فيما بينها شؤون وأمور الثقافة وفق نطاق ضيق جدا ويطشلية وسلوك بعيدين عن تحمل المسؤولية التي تقع على عاتق المثقف.. ماأود قوله ان كتابي الأهم من ضمن المجموعة الأخيرة والذي رافقه بذل مجهود فكري كبير وعنوانه سيسيولوجيا الاغتراب يتحدد تاريخ نشرها ما بين أعوام ٢٠٠٤و٢٠٠٦ ولم تكن أفكارها وليدة ساعتها او ظروفها باستثناء كتاب العولمة والذي أعده كرد فعل لما تزامن مع احداث الحادي عشر من سبتمبر وبروز مفهوم صراع الحضارات لصامويل هنتكتون ومفهوم نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما..

- بذلت جهودا مشهودة في سبيل طبع تلك الكتب حتى ظهرت بطريقة الاستنساخ او على مواقع تهتم بنشر الكتب الكترونيا، هل هي خيبة أمل من عدم وجود دور نشر تهتم بنشر هذه المؤلفات؟

• أشرت في سياق إجابة سابقة ان هنالك أسبابا وراء حجب النشر لمعظم كتاباتي في الصحف والمجلات لذلك بقيت محتفظا بما اكتبه حتى وجدت من الواجب ان اظهر تلك الكتابات لغرض نشرها حتى ولو بإمكانيات ذاتية صرفة وحقيقة انا مستغرب مما يجري في الأوساط الثقافية وهذا متروك لكل صاحب قلم نزيه يعرف ماذا يدور في تلك الأوساط من ممارسات بعيدة جدا عن التعامل الثقافي المعهود بالصدق واستشهد في هذا المقام بمقولة للشاعر العراقي شوقي عبد الأمير يدافع فيها عن ادونيس فيقول "إننا إذا وضعنا شرائح أي مجتمع من المجتمعات وفق معيار رصد سؤاله فإن الوسط الثقافي يحتل المرتبة الأولى في جميع شرائح المجتمع".

- وسط جدل قسم الآراء بين مصطف مع تأييد فكرة صراع الحضارات او الوقوف ضدها باعتماد الحوار، علي محمد اليوسف مع أي المعسكرين؟

• قبل البدء بالانحياز او الاصطفاف مع معسكر الصراع او الداعين للحوار أود توضيح ان الضجيج الذي أثاره معسكر الدول الشرقية وبصورة اعم دول العالم الثالث تعد صراع الحضارات هو واقع ملموس قائم بمفرداته الحالية على الأرض ولامجال لنكرانه وجميع التضحيات والدماء والأموال التي تهدر على الحروب وعلى مكافحة الإرهاب في العالم تؤكد ان الصراع قائم على قدم وساق وأخذت حيزا للتنفيذ الفعلي إما فيما يتطلق في أي معسكرين أقف أنا فمعنى ذلك ان تاريخ البشرية سيشهد صراعا من نوع حضاري وعلى امتداد قرون قادمة لذلك فإن رفض صراع الحضارات لايعتمد على خطا هنتكتون لابل الرفض يتأتى من رفض التبعات التي بات العالم يدفعها وتبقى الآمال معلقة بإمكانية وقف الصراع حتى لاتمتد الى آماد طويلة في المستقبل ولااعتقد ان العبرة هي الخيار بين صراع ضد او مع..

- يتناقل العالم أفكاراً تبني ذاتها على ان حضارات العالم لم تكن مغلقة على ذاتها لكنها تكونت بفضل تجمعات البشر وبقيت أسماء تلك الحضارات كفيلة بموقع نطاقها فما رأيك بتلك الأفكار؟

• هذا السؤال يعود بي الى موضوعة اللاتشاكل حيث تطرقت الى ان النظام العبودي هو الفاصل في تأسيس حضارات قائمة بحد ذاتها ومنها مصر الفرعونية كأنموذج فقد أنتجت حضارة لازالت ماثلة لوقتنا الحاضر بما تركته من أهرامات وتحنيط مومياءات كما ان الإشارة للنظام العبودي كناموس طبيعي لايمكن المساس به وردت في مقولة لأرسطو أشار فيها بأن "العبد عبد بالفطرة الاجتماعية والسيد سيد بالفطرة الاجتماعية" حيث لايمكن المساس بهذا القانون كما صوره لأنه يعتبر إخلالا بحدود الخير والشر كما استشهد بالنظام العبودي الذي كان في الإغريق فأنتجت عنه أرقى أنواع الفلسفة وأنتجت أيضا أول الالعاب اولمبية في العالم وأول نواة للديمقراطية تمثلت بمجلس العموم او الشيوخ والذي كان حصرا على طبقة النبلاء تحديدا وقد أشرت أيضا ضمن الموضوع الى حضارة الانكا في بيرو وغيرها وصولا إلى نقطة البدء التي تركها الإنسان القديم عبر الرسوم الحجرية التي تركها بأربعة ألوان هي الأحمر والأصفر والأبيض والأسود وهذه المفارقات توضح لنا بشكل جلي ان المجتمعات التي كان يسودها نظام الرق او العبودية أنتج حضارات راقية ولذلك تجد ان انعدام مثل تلك الأمور في وقتنا الحاضر يجعلنا أمام مجتمعات متقدمة جدا من الناحية البنى التحتية او الارتكازية لكنها في المقابل عاجزة عن خلق قيم حضارية تخدم المجتمع..

- أعربت عن ألمك لما يجتاح الأوساط الثقافية من تعامل محدود وضيق فلماذا لم تتعامل مع المؤسسات الأكاديمية في دعم تلك المؤلفات واعتمادها كاطاريح علمية لدراسات عليا؟

• ذكرت لك إنني اعتز بكتاب سيسيولوجيا الاغتراب ولكنني أود ان أوضح ان الكتاب يعد مجهوداً شخصياً بحتاً حيث لم استعن ولم استشر ولم ادفع بأي مسودة من مسودات الكتاب الذي يقسم الى مدخل علم وثمانية فصول وتعود فكرة تأليفي له الى عام ٧٩ حينما وقع بيدي المجلد الحادي عشر من عالم الفكر الذي يصدر في الكويت وكان مكرسا للاغتراب وقد طالعت هذا المؤلف لأكثر من عشر مرات فلاحظت من خلال تلك القراءات ان هنالك قصوراً واضحا في معالجة ظاهرة الاغتراب الفلسفية في مؤلفات الأكاديميين وحتى من غيرهم مما جعلني ابحث عن مصادر أخرى بغية ترسيخ ما قرأته في المجلد المذكور ولم اعثر إلا على كتاب بعنوان الاغتراب من تأليف الفيلسوف الألماني ريتشارد شاخت وتقديم والتر كوفمان وترجمة كامل يوسف حسين..

بناءا على ما تقدم لااود الاستهانة بقدرات أساتذتنا في الجامعات العراقية والأكاديميين بصورة خاصة ولكنني استطيع الجزم بان سيسيولوجيا الاغتراب هو أول إصدار عراقي يعالج فلسفة الاغتراب بهذه الصورة الشمولية فمن خلال فصول الكتاب تجد انه يحلل علاقة الاغتراب بالصوفية وفصل آخر خاص بالاغتراب في الوجودية الحديثة حيث تناولت فيها مناقشة أفكار سارتر واللامنتمي كولن ولسن وأدب اللامعقول لدى صموئيل بيكيت إما فيما يخص الوطن العربي فإن بعض المفكرين المصريين كتبوا عن الاغتراب أذكر منهم دكتور مراد وهبة ودكتور نبيل رمزي ودكتور حبيب الشاروني ودكتور فتح الله خليف إما الأستاذ الأكاديمي الوحيد الذي طرق موضوعة الاغتراب وقرأت له مداخلته في مجلد عالم الفكر الذي تحدثت عنه هو الدكتور قيس النوري وما عداه لااعرف احدا غيري ألف كتابا عن فلسفة الاغتراب..

- ثلاث مؤلفات حملت مصطلحات العولمة والسيسولوجيا واللاتشاكل وكتبت وفق لغة فلسفية عالية لايمكن لها ان تقابل إعدادك لمجموعة شعرية كتبت بلغة شعرية معروفة بوضوح المعنى والبساطة وبالطبع تختلف عنهم فماذا تقول في ذلك؟

• ترشح مجموعتي الشعرية التي عنونتها بـ"توهج العشق.. لاختصار الكلمات" للنوع من الهواية في كتابة الشعر ولا ادعي إنني شاعر بقدر ما وجدت ان هذه النصوص التي كتبتها تنتمي لواحة الشعر فجمعتها بهذه المجموعة التي حملت العنوان المشار إليه..

همسة

أصدقاء فقط!!

فالنتينا يوآرش هيدو

أن نصبح أصدقاء فذلك مستحيل..
أن أمحوك من ذاكرتي.. وأنسى الذكريات فهذا المحال بعينه
جردني من روحي.. من جسدي
وأترك لي حبك
أهجرني.. أنساني.. أحرق كل كتاباتي..
وأترك لي حبك

فحبك هو حياتي.. شهيقي وزفيري.. هو كل شيء لي
أن أصبح صديقتك.. صديقتك فقط؟
بربك أليست تفاهة؟
فكيف تعيش الزهرة من غير رحيق..
والقوس قزح كيف سيكون من غير ألوان..

هل رأيت طيراً يطير من غير جناح؟
فالصداقة شيء.. وحبي لك شيء آخر
شيء قد لا تفهمه أنت
فخيالك لا يسع حبي لأن حبي ليس له مدى ولا حدود
أطلب أي شيء آخر.. لكن لا تطلب من أن أكون صديقة فقط.

استذكارات رائعة

يونادم بنيامين

إلى شقيقي: عزريا وآخرين

الوقت عام ١٩٥٩
الصف الأول -أ-
المدرسة العزة وزعيمنا الكبير،
وقلوب وقلوب تهواك...
مثل حياة العز ونشيد السادس أيام زمان
مثل مدرسة لاتهب الآخرين
الصمون الحار والقيمر اللذيذ
ولا قصراً ولا جاه
ولا سيارة ولا رصيدك في مصرف
ما
ولا صكاً ولا اعترافاً
إلا بالعلم واليراع
بالاملاء والتعبير
بالنجاح والظفر الكبير
ومن سار على الدرب وصل
ومن سهر الليالي قطف النجاح
وكل سيكارة تدخنها...
وكل علم تدخرهُ
والدرس للفائدة لا للامتحان.

هواجس معلومة

إلى جمال عقراوي تربوياً رائعاً

مثل الفيزياء
وتفاحة الجاذبية
مثل كومة القش
في مهب الرياح
مثل الصبايا والروح
والعيد الأكبر
مثل الأعراس والنبيذ المعتق
مثل الشاعر وأول قصيدة
مثل الفلاح والحصاد الأكبر
مثل الرقص والمزمار والرحيل البعيد
مثل الرسالة التي لم تصل
مثل الطابع الفارق بالتواقيع
والأختام يتنفس حبر الرحيل
مثل الملك الطريد وقت فقدان السيف
مثل الأميرة وبنت الجيران
والراعي الوسيم
مثل الجداول والأعشاب وأغنية العصافير
مثل المعلم وجدول الضرب
والامتحان الكبير
مثل الشاعر وقت المهرجان
وضياع القافية والبحور
مثل هواجس معلومة لمشاكس
وطفل نزق صغير.

هواجس

عشقتك...

لونا يوآرش هيدو

تحققت امنيتي... وكانت العودة...
هذا ترابك وطني
وانهمرت دموعي مطراً يثير عطر ترابك
هذا انت وطني ملكي الذي لم أملك منك شبرا
هذا انت وفي ظلام الزمن تشرق يا وطني...
عشقتك... يا افق الفكر، يا بسمة ذكرياتي.
كان وصولي إليك كوصول الكسيح الذي يدل على العصا
عشقتك... لأنني فيك أحلم بالغد كما تحلم الفراشات
البيضاء بالربيع، فيك الحلم النقي وابهى
وصوتك يغوص إلى أعمق من كل الأصوات
إلى قلب الأرض
عشقتك... لأنك ابا عطوفاً لأفكاري،
والأرض ام رؤوم
لأقوالي فمن كان جميلاً مثلك...
أنت لست الأمس ولا الحاضر أنت الغد
غد الآفاق
عشقتك... لأنك خلقت من اعالي الربى وسط الأزهار
العاطرة فحطم القيود ليصير البعيد
قريباً الذي يتحسر على انفاس
جبالك وأحواض أنهارك وينابيعك وطعم الوطن
عشقتك... وعشقتك العيون
نبعك مليء بالاخلاص مثلما تجري السواقي بالوفاء،
ويرفل بالارجوان
فدعني اهب نفسي وحياتي وان أخاف حين اقدمها
لك وطني لتبقى انفاسي من عبق طيبك...

بقلم ديفيد بروكس

سلطة الأجيال القادمة "عن النيويورك التايمز"

أقوم يومياً بتفحص مدونة على الشبكة تدعى "مارجينال ريفولوشن" أي الثورة الهامشية. وهذا الموقع يمتاز بكاتبيه البارزين في مجالي تخصصهما تايلر كووين وأليكس تابروك، إضافة إلى ثلة من الكتاب النجباء. وحدث أن وجّه أحد أولئك الكتاب في الأسبوع الماضي سؤالا خياليا، لكنه يحفز على التفكير: ما الذي سيحصل لو أن ظاهرة شمسية أصابت بالعقم البشر الذين يعيشون في نصف الكرة الأرضية المعرّض للشمس؟

وإذا تأملنا هذه المسألة من وجهة نظر قريبة عن العالم، فلن يحدث الكثير آنياً، إذ أن هناك الملايين من البشر اليوم عاجزون عن الإنجاب ولكنهم يعيشون حياة سعادة وإنجاز وعطاء.

وحتى بعد وقوع مثل هذا الحدث، فإن الشروط المادية سوف تبقى كما هي عليه الآن تماماً، وسوف يبقى هناك حافز لدى البشر يدفعهم للذهاب إلى العمل، وتسديد فواتيرهم وتعليم أولادهم الذين ما زالوا معنا. وعلى مدى الأعوام العشرين القادمة سوف يستمر تيار العمال بالتدفق إلى سوق العمل. كما أن المهاجرين من الجانب الآخر من الكرة الأرضية قد يبدأون بالتوافد بأعداد متزايدة صوب المناطق التي سيتناقص فيها السكان. وفيما لو وقعت حالة العقم الجماعي تلك حقاً، فإنها قد تقلل من حدة التشنّج البيني على كوكبنا. والناس قد ينصرفون إلى التركيز على أن يعيشوا يومهم، غير آبهين بما يخبئه الغد هنا وهناك.

ولكننا بالطبع، لا نحيا حياة فردية. فالشروط المادية لا تقود التاريخ، كما أن البشر إنما يعيشون حياة من التوافق بين الماضي والحاضر وما هو آت، و قيمة التجربة الفكرية هي أنها تذكرنا بسلطة الأجيال القادمة على حيواتنا.

لنفترض أن حالة من العقم أصابت النصف الغربي من الكرة الأرضية، فإنه سرعان ما سوف تكون هناك أزمة روحية مفجعة، فكلتا الديانتين اليهودية والمسيحية هما عقيدتا إيمان ترتكزان على الأمل الموعود، وهما مبنيتان على قصص تبدأ من سفر التكوين مروراً بتواتر الوحي وانتهاءً بالغاية المجيدة.

ولحياة المؤمنين معنىً خاص، وذلك لأنهم هم وأقرانهم يشكلون جزءاً من هذا التجلي العظيم، عقيدتهم مزيج من الرجاء والأمل. فإذا ما أدرك هؤلاء يوما أنهم مجرد نهاية طريق، فإنهم سوف يشعرون بأن الله قد تخلى عنهم، وأن حياتهم أصبحت بلا مغزىً أو هدف.

العالم الدنيوي سوف ينفطر أيضاً. فإن كان هناك شيء يستحق العمل فهو عمل الأجيال الذي يتجسد إما في القضاء على العنصرية أو الترويج للحريات أو النهوض بالأمة. على سبيل المثال، كان مؤسسو أمريكا يشعرون بعيون أحفادهم تراقبهم. كان ألكسندر هاميلتون يشعر أنه يسهم في خلق امبراطورية عظيمة، في حين راح نوح ويبستر يجمع قاموسه وهو يتوقع بأن عدد سكان أمريكا سوف يصل يوما ما إلى ٣٠٠ مليون نسمة رغم أنه لم يكن يتجاوز ستة الملايين نسمة آنذاك.

لقد اضطلع هؤلاء الأشخاص بمشاريعهم العظيمة لأنهم كانوا يبنون من أجل مستقبل أبنائهم. ويوصفهم قادة وكتابا وفنانين طموحين، كان دافعهم من وراء ذلك هو تعطشهم لتحقيق شهرة خالدة. من دون أجيال قادمة، لا توجد تصاميم عظيمة أو طموحات سامية. والسياسة تصبح عديمة الجدوى. حتى كلمات كـ"العدالة" تفقد معناها، وذلك لأن كل شيء سوف يُختزل إلى القيم الضيقة التي تقتصر على اللحظة الآنية.

ولو عرف البشر أن مصير أمتهم وجماعاتهم وذويهم سيؤول إلى الفناء، لما قاموا بإشادة أبنية سرمدية، أو جاهدوا لإقامة شركات جديدة، ولما اكترثوا بحماية البيئة أو بادخار الأموال أو استثمارها.

ولسوف يكون هناك ارتفاع مهم في الاستقلالية الفردية، وعوضا من التضحية لصالح أبناء مجتمعهم، فسوف يتحول الناس أنفسهم إلى مجرد أطفال يبنون حياتهم على أيسر من الملذات ورغد العيش بدلا من قيم يُرجى تحقيقها.

وقد يحاول بعض الناس إطالة أمد مجتمعهم عن طريق تسخير أشخاص من النصف الخصيب من الكرة الأرضية للعمل لديهم. لكن هذا لن يجدي نفعا، فالهجرة هي العملية المضنية التي يترك المرء من خلالها ثقافته وأسلوب عيشه من أجل أن ينعم أبناؤه وأحفاده بمستقبل مختلف. ولن يكون هناك أحد يمتلك الإرادة للقيام بمثل هذا العمل المضني كي ينتقل من مجتمع في طور التكاثر إلى مجتمع متلاشٍ. كما أنه لن يكون هناك الأجيال المطلوبة لاستيعاب المهاجرين. فالثقافة العظيمة لا يمكن لها أن تزدهر، وبالتالي لا يمكن لها أن تنادي بالاستيعاب. وعوضاً من ذلك سوف يكون هناك انقسام حاد بين من يملك المستقبل ومن لا يملكه. فإذا جيء بالملايين من المهاجرين، فإنهم سيقطنون المباني ولكنهم لن يزيدوا في عمر الثقافة شيئا. هؤلاء لن يكونوا مثل المهاجرين الحاليين لأنهم لن يكونوا مساهمين في مشروع مشترك، بل مستبدلين إياه بمشروع آخر. لن يكون هناك أي حس بالمواطنة، ولن تكون هناك أي مشاعر فطرية عند أولئك الذين يشكلون جزءاً من وحدة اجتماعية عضوية تشاطرهم المصير نفسه.

بعبارة أخرى، سينهار كل شيء في غضون أسابيع، ويصبح المجتمع بلاهوية. السيناريو كئيب قاتم. إن الفرد الذي حُرم من الإنجاب لا يزال يسهم بشكل كامل في مستقبل مجتمعه، ولكن إذا كان هناك مجتمع لا يتكاثر أبناؤه، فلن يكون هناك شيء يمكن لنا أن نسهم به من أجله. ولكن بالطبع، هنا يكمن سر جمال هذا السؤال الغريب. فليست هناك ظاهرة شمسية من شأنها أن تسبب العقم، بل حبانا الله بدلاً من ذلك بالسلطة الانضباطية لأجيالنا القادمة. ونحن بدورنا نعوّل كثيراً على هذه القوة غير المرئية وغير المعلنة المُجسدة في ملايين البشر غير المولودين بعد، هؤلاء الذين لن نلتقيهم أبداً، إلا أنهم يمنحوننا هبة الحياة التي نعيشها.

*مؤسسة جذور الثقافية

لقطة

دامت لنا بغداد

كريم خلف حسين

جاءوا... يحملون حقد الأفاعي
جاءوا... ليوقفوا زهو المدن
جاءوا... لينشدوا لحنَ الخراب والدمار
فجروا... قتلوا... دمروا المباني؟
أرادوا ترويعنا... خسئوا فانهم قد
شحنوا الهمم
الشعب حيٌ لا يظلم
الشعب باقٍ مستدام
هوَ عنوان الكرامة
هوَ انشودة الحب والسلام
هو للملمات أهلاً
فارس... جسورٌ...
صولاته المجد يشهد لها
الجرح ينزف لا يندمل
أعداؤنا.. شرهم مستمر
الويل كل الويل لمن خان الديار
الويل لمن باع الجوار
الويل لمن لا يراعي حرمة الأطفال الصغار
بالله انشدو لحننا
بغداد دمت لنا
اذا دمروا مبانيك.. أرواحنا تفديك.